# الأربعون النووية

شرح فضيلة الشيخ

## أحمد بن عمر بازمول

حفظه الله

الأستاذ المشارك بجامعة أم القرى

١٤٣٦ \ ١٤٣٧ - هـ.

ضمن دروس معهد الميراث النبوي

-تفريغ فريق صيانه السلفي-

http://meerath.nabawee.net
https://www.facebook.com/meerath.nabawee/?ref=

# الدرس الثامن عشر من الأربعين النووية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَ الحَمَدَ للهِ نَحمدُهُ ونَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا مِنْ سَيِئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللهَ فَلاَ مُضِلَ لَهُ ، وَمَنْ يُضّْلْل فَلاَ هَادِيَ لَه ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهِ إِلاَّ اللهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَ مُحَمَدًا عَبْدَهُ وَرَسُولُهُ .

أَلاَ وَإِنَ أَصْدَقَ الْكَلَام كَلَامُ اللهِ وَخَيرَ الهُدَى هُدَى مُحمَّد وَشَرَ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٍ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٍ وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أمَّا بعد :

فقد توقفنا عند الحديث الرابع والعشرين من الأحاديث الأربعين النووية ، وهو ما رواه أَبو ذَرٍّ الْغِفَارِيّ –ﷺ– عَنْ النَّبِيّ –صلَّى الله عليه وسلَّم– فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ –عزَّ وجل– ، أَنَّهُ قَالَ :

( يَا عِبَادِي : إِنِّي حَرَّمْت الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي ، وَجَعَلْته بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا ؛ فَلَا تَظَالَمُوا. يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ ضَالٌّ إلَّا مَنْ هَدَيْته ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ . يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ جَائِعٌ إلَّا مَنْ أَطْعَمْته ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ . يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ عَارٍ إلَّا مَنْ كَسَوْته ،

فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ . يَا عِبَادِي! إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ؛ فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ. يَا عِبَادِي! إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي ، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي. يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا. يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا. يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي ، فَأَعْطَيْت كُلَّ وَاحِدٍ مَسْأَلَته ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ. يَا عِبَادِي! إنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إيَّاهَا؛ فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدْ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَن إلَّا نَفْسَهُ). [1]

هذا الحديث العظيم الذي خرَّجه مسلم ، وذكر مسلمٌ –رحمه الله تعالى– بسنده أن أبا إدريسٍ الخولاني كان إذا حدَّث بهذا الحديث جثى على ركبته ، يعني لم يستطع أن يكمل القيام ، بل يجلس على ركبته من عظمة هذا الحديث ، وهذا الحديث الصحيح قد اعتنى العلماء به ، وبيَّنوا ما فيه من معاني وحكمٍ كثيرةٍ جدًا ؛ فهذا الحديث حديثٌ قدسي

– ومعنى كونه قدسيًا : أي ما رواه النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– عن ربه .

---

[1]) سوره مسلم .

- والقدسي من القداسة : وهي النزاهة والتعظيم ، والحديث القدسي كما مرَّ معنا أن الصحيح أنَّ لفظه ومعناه من عند الله –عزَّ وجل– .

**قال العلماء : الحديث قسمان ( نوعان ) :**

- الأول الحديث القدسي : وهو ما رواه النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– عن ربه فيما أوحي إليه .

- والنـوع الثاني الحديث النبوي : وهو ما كان معناه من عند الله ولفظه من عند الرسول –صلَّى الله عليه وسلَّم– ، فهذا هو الحديث النبوي ، أمَّا الحديث القدسي فلفظه ومعناه من عند الله .

يقول : (يا عِبَادِي) ، يقول : ( أَطْعَمْته ) تاء المتكلم ، فهذه كلها أدلَّة عند العلماء على أن الحديث القدسي لفظه ومعناه من عند الله –عزَّ وجل– .

قوله : (يا عِبَادِي) ، هذا من لطف الله –عزَّ وجل– ورحمته وتودُّدِهِ إلى عباده ، أن ناداهم بقوله : (يا عِبَادِي) ، فالله –عزَّ وجل– هو خالق كل شيء ، وهو –سبحانه وتعالى– ربُّ كل شيء ، وكل من في السماوات والأرض هو عبدٌ لله –عزَّ وجل– ، فهو –سبحانه وتعالى– خالق كل شيء ؛ فالله ينادي عباده لأمورٍ عظيمة ، يُذَّكرهم بنعمه وآلائه –سبحانه وتعالى– ، وينهاهم عن أمرٍ من الأمور العظيمة ،

فقال –سبحانه وتعالى– في هذا الحديث القدسي : (يَا عِبَادِي : إِنِّي حَرَّمْت الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي ، وَجَعَلْته بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا ؛ فَلَا تَظَالَمُوا ) .

## قال العلماء :

– الظـلـم : هو وضع الشيء في غير موضعه ، فالله –عزَّ وجل– يخبرنا أنه حرَّم الظلم على نفسه ، فلا يعذِّب التقي ولا يدخل الجنة الكافر ، والدنيا دار ابتلاءٍ وعمل ، والآخرة يقتصُّ الله –عزَّ وجل– للعباد بعضهم من بعض ؛ لذلك الله – عزَّ وجل – يقول عن يوم القيامة : ﴿لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾[2]

في الدنيا هناك من يظلم ، هناك من يؤذي ، هناك من يتعدَّى حدود الله ؛

## – لمــــــاذا ؟

– لأن الدنيا دار عمل وابتلاء ، أمَّا في الآخرة فلا ظلم ؛ فمن شدَّة خطورة الظلم ، ومن شدَّة دناءة الظلم حرَّمه الله –عزَّ وجل– على نفسه ، فالله –سبحانه وتعالى– كاملٌ في ذاته وفي أسمائه وفي صفاته –سبحانه وتعالى– ، مُنزَّهٌ عن الظلم ، مُنزَّهٌ عن النقائص والعيوب ، فهو – سبحانه وتعالى– غيرُ ظالمٍ كما أخبرنا هنا ، وكما أخبرنا في آياتٍ كثيرة أنَّه لا ظلم ، وأنَّ هناك يوم القيامة يوفَّى الناس أعمالهم بلا ظلم ، ( إِنِّي حَرَّمْت الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْته بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا ؛ فَلَا تَظَالَمُوا ) .

---

[2] ) سورة غافر - الآية 17

## قال العلماء : الظلم أنواع :

– **ظلم العبد لربه :** وذلك بالشرك كما قال لقمان :

﴿ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[3]

فظلم العبد لربه بالشرك ، إذ التوحيد حق الله على العبيد ، والشرك بأن تجعل المخلوق ندًا مساويًا لله ، تسأله ، تطلبه ، تتوجه إليه بالدعاء وهو مخلوقٌ مثلك ، فساويت بين الخالق والمخلوق فلا شك أن هذا ظلم ؛ لأن الدعاء يكون لله ، فإذا وضعته لغير الله فأنت وضعت الدعاء لغير الله فهذا ظلم ، وهو أشدُّ أنواع الظلم ، الشرك الذي إذا مات عليه العبد لا يغفره الله – عزَّ وجل – ،كما قال الله في الحديث القدسي الآخر : ( يا ابْنَ آدَمَ! إنَّك لَوْ أتَيْتني بِقُرَابِ الْأَرْضِ –بملأ الأرض– خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَغَفَرت لك ولَا أُبَالي )[4]

و قال سبحانه في القرآن : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾[5] ، فهذا النوع الأول من الشرك ؛ لذلك على كل مسلم و مسلمة أن يحرص كل الحرص أن يجتنب الطاغوت ، وأن يجتنب الشيطان ، أن يجتنب الشرك ، وأن يجتنب الكفر ، كما قال إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – :

﴿ وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾[6] ؛ فعلى كل مسلمٍ ومسلمة أن يخافوا من

---

[3] ) سورة لقمان - الآية 13

[4]) رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ [رقم:3540]، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

[5]) سورة النساء - الآية 48

[6]) سورة إبراهيم - الآية 35

الشرك أن يقعوا فيه ، و أن يسألوا الله – عزَّ وجل – أن يُميتهم مسلمين ، وأن يحفظهم من الشرك .

هذا النوع الأول الظلم بين العبد وربه ، وعلاج هذا الظلم بالتوحيد ، بتحقيق التوحيد والإخلاص لله – عزَّ وجل– والعمل الصالح والبعد عن الشرك والكفر وكل ما من شأنه يحبط الأعمال ؛ لذلك الله –عزَّ وجل– يقول في حال الكافرين : ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾[7] ؛ فليحذر العبد من هذا الظلم .

– النـوع الثاني ظلم العبد لنفسه : و ذلك باقتراف الذنوب والسّيئات والخطايا ، والتقصير في حق الله – عزَّ وجل – ، فيترك الواجبات ويقع في المُحرَّمات ، وهذا علاجه بالتوبة والرجوع إلى الله – عزَّ وجل – ، والإنابة إلى الله ، وأن يعلم العبد أنَّ كل ما يعمله من خيرٍ أو شرٍ محصى عليه مسجل ، يلقاه أمامه يوم القيامة ، ﴿ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ﴾[8]

على العبد أن يتدبَّر هذا الأمر ، أن كل ما يعمله سيجده أمامه يوم القيامة مكتوبًا مسجلًا ، و سيحاسب عليه كما قال –صلَّى الله عليه وسلَّم : ( من نوقش الحساب عُذِّب ) ، فإنَّ العبد ستعرض عليه أعماله يوم القيامة ، ولكن كما ذكر

---

[7]) سورة الفرقان ـ الآية 23
[8]) سورة الكهف ـ الآية 49

الله – عزَّ وجل – في هذا النوعِ من الذنوب التي بين العبد وبين ربّه أنها تحت المشيئة ، إن شاء الله غفر له ابتداءً وإن شاء عذَّبه ، فإن مات على التوحيد فمصيره و مآله إلى الجنة – بإذن الله تعالى – ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ ﴾ هذا الشرك ، ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ أي ما دون الشرك ، ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [9] ، فمن شاء الله غفر له ابتداءً ، أسأل الله أن يغفر لي ولكم ، وأن يعفو عنِّي و عنكم ، وأن لا يؤاخذنا بذنوبنا وزلاتنا ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ .

و كما سبق علاج هذا الظلم أن العبد لا يُسرِف على نفسه بالذنوب ، ولو أسرف لا يقنط من رحمة الله : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [10]، فالعبد مهما بلغت ذنوبه لا ينسى التوبة ولا ييأس من روح الله ورحمته بل يسعى للتوبة ، ﴿ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾ [11]

**– النـــوع الثالث : الظلم بين العباد فيما بينهم :** كما قال –صلَّى الله عليه وسلَّم– : (كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه ) ، وقوله –صلَّى الله عليه وسلَّم– : (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره و لا يخذله بحسب امرئٍ

---

[9]) سورة النساء ـ الآية 48
[10]) سورة الزمر ـ الآية 53
[11]) سورة التحريم ـ الآية 8

من الشر أن يحتقر أخاه المسلم ) ، (كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه ) أو كما قال –عليه الصلاة والسلام– .

فهذه المظالم التي بين العباد في الدنيا يوم القيامة مبنيةٌ على الاقتصاص فيما بينهم ، وليست داخلة في قوله تعالى : ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾[12] ، لأنّ الذنوب التي يشاء الله أن يغفرها للعبد ، هي الذنوب التي بين العبد وربِّه .

وأمَّا الذنوب التي بين العباد من أكل مالٍ ، أو ضربٍ ، أو شتمٍ ، أو قذفٍ ، أو أذيّةٍ فإنّها مبنيةٌ على الاقتصاص .

## – ما مــعنــى الاقتـــصـاص ؟

– معناه : أنَّ المظلوم يأخذ حقَّه من الظالم وليس إلا حسناتٍ وسيّئاتٍ .

وكلُّنا يذكر قول النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– : ( أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ ؟ قَالُوا : الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا دِينَارَ ، قَال النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– : المفلس من يأتي بحسناتٍ أمثال الجبال ، ويأتي وقد ضرب هذا –ظلم– ، وشتم هذا –ظلم– ، وأخذ مال هذا –ظلم– ، وقذف هذا –ظلم– ، وضرب هذا –ظلم– ؛ فيأخذ هذا من حسناته ) لأنّه ظلمه فيأخذ من حسناته ، الاقتصاص في الحسنات ( فيأخذ هذا من حسناته) ، تفنى حسناته تنتهي ( فيطرح عليه من

[12] ) سورة النساء ـ الآية 48

سيئاتهم فيقذف في النار أو فيطرح في النار) ، أو كما قال –عليه الصلاة والسلام–

والنَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– بيَّن أنَّ الاقتصاص بين الناس يوم القيامة بالحسنات والسيّئات ؛ فلذلك يجب على كل واحدٍ منَّا أن يعلم أنّه محاسب .

الزوج الذي يضرب زوجته ضربًا غير مأذونٍ به شرعًا يُحاسبه الله –عزّ وجلّ– ، يُحاسبه على تعدّيه على المرأة الضعيفة ، التي أخذها بموثقٍ من الله –عزَّ وجل– ، يعلو عليها ضربًا ، ويُؤذيها شتمًا ويقول : أنا حر ، لا يا أخي ، لست حرًا ، أنت مُحاسبٌ على هذا ، ومُؤاخذٌ على هذا ، إن سكتت فإنَّ الله ينصرها يوم القيامة ، سيحاسبك الله –عزَّ وجلّ– على هذا .

وذلك الوالد الذي يضرب ولده ضربًا فيسقطه أرضًا ، ويُؤذيه بالضرب والحبس والأذية ؛ سيُحاسب على هذا.

مرَّ النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– على رجلٍ من الصحابة –رضوان الله عليهم أجمعين– ، وهذا الرجل كان يُؤدِّب غُلامه ، فكان رافعًا للسوط يضربه به ، فجاءَه النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– من الخلف فقال له : (اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ ، اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ أَنَّ اللَّهَ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ إليه )[13] ،فسقط السوط من يده وأعتقه .

[13] ) رواه مسلم

فهذا كان يُؤدِّب غلامه ، الذي هو ملكٌ له يملكه ، ومع ذلك بيَّن له النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– أنّك و إن كنت تملكه فاعلم أنّك مُحاسبٌ على هذا .

وذاك الصحابي الآخر –ﷺ– لمَّا ذكر أنَّ جاريةً له يملكها ،كانت ترعى الغنم ، فغفلت فجاء الذئب فأكل واحدةً منها ، فضربها على وجهها ، فصككتها على وجهها ، ضربها كفاً من شدَّة الغضب ، فلمَّا جاء إلى النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– يستفسر ويسأل ، ناداها النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– ، فلمَّا جاءت قَالَ لَهَا : ( أَيْنَ اللَّهُ ؟ ) ، قَالَتْ : فِي السَّمَاءِ ، قَالَ : ( مَنْ أَنَا ؟ ) ، قَالَتْ : رَسُولُ اللَّهِ ، قَال : (أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَة ) ؛ فأعتقها لأنّه ضربها ضربةً واحدةً .

**– فكيــف بالذيــن يضربون ليـــل نهار ؟**

**– وكيـــف بالذيـــن يضربون بالأيـــام والليـــالي ؟**

فعليهم أن يتذكروا أنّ الله –عزَّ وجلّ– سيُحاسبهم على هذا .

وكذا العامل الأجير ، والعامل الضعيف الذي يعمل عند صاحب العمل ، يظلمهُ في الراتب ، أو يظلمهُ في كثرة الوقت ، أو يظلمهُ بأن يعمل عنده ما ليس من عمله ، أو يظلمهُ بضربه ؛ كل هذا محاسبٌ ومجازى عليه ، حتى الأم في ضربها لأبنائها ، حتى الأخ في ضرب إخوانه ، عليه أن يضربهم ضرب تأديب ، وضربًا شرعيًا غير مؤذٍ .

وأمَّا الله –عزَّ وجل – حينما أذن للزوجِ أن يضرب الزوجة فإنَّ ابن عباس –رضي الله عنهما– ، ترجمان القران ، وحبر هذه الأمة ، فسَّر الضرب بقوله : "ضربًا بالمسواك في مجامع اللحم " ، يعني مثل : الكتف والفخذ ، لا يضرب عظمًا ولا وجهًا ولا رقبةً ، وإنَّما يضرب في مجامع اللحم ، ويضربها ضربًا خفيفًا ؛ لأنَّ المقصود التّأديب ليس الإهانة ، وليس الإذلال ، وليس التسلّط على عباد الله –عزَّ وجلّ– .

ولذلك فإنّ الله –عزَّ وجل– لمَّا ذكر –سبحانه وتعالى– في سورة النساء ما يتعلق بالشقاق بين الرجل والمرأة ، أباح للأزواج –سبحانه تعالى– أن يؤَدبوا زوجاتهم :

– أولًا بالموعظة : فيعضها ويُذكرها ويُبيّن لها حقه من الطاعة ، وأنّه بالنِّسبة له جنة أو نار ، كما قال النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– لتلك المرأة : ( انظري أين أنت منه فإنه جنتك أو نارك ) أو كما قال – عليه الصلاة والسلام– .

فيُبيِّن لها حق الزوجِ شرعًا ويعضها ويُذكرها ، وأنَّ عليها أن تراعي حق الله –عزَّ وجلّ– فيه ، فإن اتعظَّت فالحمد لله ، وإن لم تتّعظ فإنّ الله –عزَّ وجلّ– قال : ﴿وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ ﴾[14]

– قيل المعنى : لا يُجامعها ، وقيل المعنى : وينام معها في نفس الغرفة لكن لا يقربها

– قيل المعنى : ينام في غرفة اخرى .

---

[14] ) سورة النساء – الآية 34

فإن ما اتّعظت أيضًا بالهجر قال : ﴿وَاضْرِبُوهُنَّ﴾ ، والضرب كما مرَّ معنا عن ابن عباس –رضي الله عنهما– أنّه بالمسواك في مجامع اللحم ، ثم انظروا إلى قوله تعالى في نفس الآية ، قال : ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ ([15])

قال العلماء ذكَّر الله –عزَّ وجل– الزوج أن لا يطغى على الزوجة ، ولا يعلو عليها ظلمًا ، ولا يتسلط عليها ؛ لأن الله هو – سبحانه وتعالى– العلي الكبير القادر عليه .

## – مـا عـلاج الظـــلم بيـــن العباد ؟

### – علاج الظلم بين العباد :

أن يؤدي الحقوق لأهلها ، فإن أخذ مالًا يرجعه لهم ، وإن ضرب أحدًا يأتيه ويستسمح منه ؛ فإنَّ النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – قبل وفاته قام في أصحابه ، وقال لهم في كلامٍ معناه : أن أيَّ شخصٍ ضربه أو شتمه فليقتصَّ منه اليوم ، قبل أن لا يكون إلا الحسنات والسيئات ، وحاشاه – صلَّى الله عليه وسلَّم– من ذلك أن يظلم أحدًا ، وإنَّما خوفه من الله –عزَّ وجل– ، وطلبه للدرجات العليا –عليه الصلاة والسلام– ، وكونه عبدًا شكورًا ، فوقف بين أصحابه يسألهم من ظلمه بضربٍ أو شتمٍ يقتصُّ منه اليوم .

---

[15] ) سورة النساء - الآية 34

فإن ضربت أحدًا ، إن ظلمتَ أحدًا أيُّها المسلم بالضرب فيقتصُّ منك بالضرب ، أو أن تطلب منه أن يعفو عنك وأن يسامحك ، وإن اغتبته أن تستسمحه ، فإن عجزت عن ردِّ المال فلا مانع أن تضع المال في ظرف وتكتب ( هذا حقٌ لفلان ) من غير أن يعرف من هو الذي ردَّ المال ، كأن تكون سرقت المال أو غصبته أو لا تستطيع أن ترده وجهًا لوجه ، فاكتب هذا المال حقٌ لفلان ، وسلِّمه بطريقة ما لأقربائه أو له هو مباشرةً ، كأن تضعه في سيارته أو في مكانه أو نحو ذلك .

فإن كان الرجل الذي ظلمته أو أخذت ماله أو ضربته لا تعرف طريقه فتصدَّق عنه ، فتصدَّق عنه ؛ بالنسبة للمال تتصدق عنه وإن جاءك يومًا من الدهر تردُّه إليه ، وإن كنت اغتبته أو ضربته أو نحو ذلك فاستغفر له ، وسَلِ الله أن يغفر لك

إذا ، هذا معنى قوله – عليه الصلاة والسلام – فيما يرويه عن ربّه : (فَلَا تَظَالَمُوا)

ثم قال : ( يَا عِبَادِي ) ، قال الله تعالى : ( يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ ) .

– يعني : كلكم ضالٌّ ، بمعنى لا يعرف الحق ؛ لأن الله –عزَّ وجل– أكرمنا بالرَّسول –صلَّى الله عليه وسلَّم– ، بيَّن لنا شرعه ودينه ومراده –سبحانه وتعالى– فالعبد بتوفيقٍ من الله – عزَّ وجل – ، وبفضلٍ من الله ورحمة ، يعرف الحق ويهتدي إليه ؛ لذلك قال : ( يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلا مَنْ هَدَيْتُهُ )

قال العلماء : الهداية هاهنا تشمل :

– هداية البيان والإرشاد ، وهداية التوفيق والاستجابة ، وتشمل أيضًا هداية أخرى ثالثة وهي هداية الثبوت على الحق ، والبقاء عليه ، وعدم الانحراف عنه.

فالعبد يضِلُّ لولا توفيق الله –عزَّ وجل– له بالهداية ، أمَّا قوله –صلَّى الله عليه وسلَّم– : (كل مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ أو يُسْلِمَانه ) فلا يتعارض مع هذا الحديث ؛ لأنَّ معناه على الفطرة التي فطر الله – عزَّ وجل – الناس عليها ، ولكن الذي يولد في مكانٍ بعيد ، وليس عنده أحد ، فإنه في الأصل في الفطرة موجودة ، ولكن يكبر لا يعرف الله – عزَّ وجل – ولا يعرف دينه ، وهذا معنى قوله :

– (كُلُّكُمْ ضَالٌّ ) ، أي : تائه عن الصراط المستقيم .

– (إِلا مَنْ هَدَيْتُهُ ) : إلا من علَّمته ووفقته .

ولذلك قال الله – عزَّ وجل – هنا في الحديث القدسي ( فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ ) : أي فاطلبوا منِّي الهداية . ( فَاسْتَهْدُونِي ) ، بمعنى : اطلبوا مني الهداية ؛ ولذلك نحن في كل ركعة نقول ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾[16] لا بد أن نستشعر هذا المعنى

قال العلماء ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ نطلب من الله هداية الإرشاد والبيان هذا النوع الأول ، وهداية التوفيق والقبول هذا النوع الثاني ، وهداية الثبوت على الحق ولزومه وعدم الانحراف عنه .

---

[16] ) سورة الفاتحة ـ الآية 6

ولذلك هذا الحديث كما ذكر العلماء يدلُّ على أن العبد عليه أن لا يغترَّ بعقله ، وأن لا يظن أنه يعرف الحق بنفسه ، بل لابد أن يطلب الحق من طريقه ، وهو ما جاء به الرسول –صلَّى الله عليه وسلَّم – ، وما كان عليه الصحابة الكرام – رضوان الله عليهم – .

ثم قال : (يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْته ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ. يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ عَارٍ إلَّا مَنْ كَسَوْته ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ ) .

– يعني : أنتم فقراء إلى الله – عزَّ وجل – كما قال الله – عزَّ وجل – : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ ( 17 )

فالله – عزَّ وجل – غنيٌ ونحن الفقراء ، مهما ملك العبد ما ملك من الدنيا ، فإنه فقيرٌ إلى الله ، محتاجٌ إلى الله ؛ فلذلك الله – عزَّ وجل – يقول : (يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ جَائِعٌ) ، كلكم مفتقرٌ إلي جوعًا وعطشًا ولباسًا وفي كل الأمور ، (كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْته ، فَاسْتَطْعِمُونِي ) .

فاطلبوا مني ؛ الله هو الرَّزاق ذو القوة المتين ، فالله – عزَّ وجل – مالك كل شيء ، والعبد عليه أن يطلب من الله –عزَّ وجل – أن يرزقه ، فإنَّ الله هو الذي سخَّر لنا الأمطار ، والمياه ، والبحار ، وسخَّر لنا الأكل بأنواعه ، والثمار ، والحبوب ، والحيوانات ممَّا أباح الله لنا أكلها ، فهذه كلها من عند الله – عزَّ وجل – ، ﴿

[17] ) سورة فاطر - الآية 15

مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾[18] فهذه النعم وهذه الأرزاق من عند الله – عزَّ وجل – ثم قال : ( عِبَادِي! إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا؛ فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ ) .

– يعني : العبد قد يخطئ بالليل ، أو يخطئ بالنهار ، يُذنب ؛ وهذا التعبير يفيد أن العبد قد يذنب ذنوبًا متتالية ، ولكن باب التوبة مفتوح ، كما أخبر النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – لن يُغلق حتى تطلع الشمس من مغربها ، وما لم تبلغ الروح الحلقوم ، فباب التوبة مفتوح ، لا تيأس من روح الله – عزَّ وجل – .

وكلنا يعرف قصة ذاك الرجل الذي قتل تسعةً وتسعين نفسًا ، ثم قتل الراهب كمَّل به المائة ، ثم أراد التوبة فسأل عن عالمٍ فدلَّه العالم على التوبة ؛ بأن يترك الأرض التي هو عليها أرض سوء ويذهب إلى أرضٍ بها قوم صالحون يعبد الله معهم ، فمات في الطريق ، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ؛ ملائكة الرحمة قالت : جاء تائبًا ، وملائكة العذاب قالت : كان يعني مذنبًا ولمَّا يتب بعد .

فمن رحمة الله أن جاء ملك يحكم بينهما ، وقال : إلى أيِّ الأرضين هو أقرب تقبضه الملائكة ؛ يعني لو كان إلى أرض سوء تقبضه ملائكة العذاب ، وإن كان إلى أرض القوم الصالحين تقبضه ملائكة الرحمة .

---

[18]) سورة النازعات ـ الآية 33

قال بعض الرواة في بعض الروايات فزوى الله الأرض من تحته ؛ يعني قرَّبه إلى الأرض الصالحة ؛ فقبضته ملائكة الرحمة ، فانظروا إلى رحمة – الله عزَّ وجل – ، وانظروا إلى عظمة وسعة رحمة الله – عزَّ وجل – ؛ رجلٌ قتل مائة نفس ، لكنه جاء تائبًا راغبًا إلى الله ، فقبله الله ورحمه فقبضته ملائكة الرحمة .

فلذلك العبد لو بلغت ذنوبه عنان السماء لا ييأس من رحمة الله ، يستغفر ويتوب ويرجو رحمة الله ، ويطلب من الله المغفرة ، ولذلك قال: ( فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ ).

و جاء في الأحاديث أنَّ الله –عزَّ وجل– في الثلث الأخير من الليل ينزل إلى السماء الدنيا فيقول : (هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِر لَهُ ) ، (هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِر لَهُ ).

وجاء عن النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– أن العبد إذا أذنب ذنبًا ثم صلَّى ركعتين فاستغفر الله يغفر الله له ، فهذا بابٌ عظيم لك يا عبد الله ، نفسك مهما سوَّلت للسوء فتب وارجع إلى الله –عزَّ وجل– .

ثم قال : ( يَا عِبَادِي! إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي )

- **يعني : أن الله –عزَّ وجل– بيده الأمر كله ، وأنه –سبحانه وتعالى– مالك كل شيء ، و أنتم أيُّها المخلوقون ليس بيدكم نفعٌ ولا ضرٌ ، ولا تستطيعون أن يصدر منكم أيُّ أمر من هذا الباب**

**- لمـــــــاذا ؟**

**- لأن الضار و النافع هو الله – عزَّ وجل – ، والعباد لا يستطيعون هذا .**

**ثم قال –سبحانه و تعالى– مُبيّنًا أمورًا تُقرر ما سبق ، فقال : ( يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا ) ، ما ينفعني أبدًا ، ولا أستنفع بأن يكون كل الناس من أوَّلهم إلى آخرهم ، جِنَّهُم وإنسهم ، على أتقى رجل واحد .**

**- لمـــــــاذا ؟**

**- لأن الله غني عنَّا ، وعن أعمالنا ، ونحن إليه فقراء .**

**ثم قال: ( يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا )**

**- لمـــــــاذا ؟**

**–لا يصيب الله – عزَّ وجل – بكفر من كفر ، لو كان الكافر بنو آدم كلهم ، وكان الجن كلهم كفار ، ما ينقص ذلك من ملك الله شيئا ؟**

**– لمـــــــــاذا ؟**

– لأن الله غني عنَّا ، ونحن إليه فقراء.

ثم قال : ( يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ، فَسَأَلُونِي ) ، طلبوا من الله – عزَّ وجل – كلَّهم من آدم إلى آخر من يبقى من هذه الأمة ، وكلِّ الجن ، قاموا في صعيد ؛ قاموا على الأرض ، فسألوا الله –عزَّ وجل– حاجاتهم ، فأعطى الله –عزَّ وجل –كل واحدٍ مسألته ، قال : ( مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ )

– والمخيط : المُراد به ، الإبرة ، فلو وضعنا إبرة في البحر ثم رفعناها .

**– هــل ينقــص من البـــحر شـــيء ؟**

– لا ينقص من البحر شيء ، ولا يغير شيئًا من البحر ؛ فالإبرة إذا أُدْخِلت في البحر لا تنقص منه شيء .

**– لمـــــــــاذا ؟**

– لأن الله – عزَّ وجل – مالك كل شيء ، وقادرٌ على كل شيء ، ولا ينقص من ملكه شيء – سبحانه وتعالى– ، لو أعطى الناس كلهم أولهم وآخرهم انسهم وجنهم .

ولذلك ؛ قال النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – : (يد الله ملآى سحَّاء )[19] ، أي : كثيرة العطاء ، ( اللّيل والنهار ، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض ، فإنه لم يَغِض) ، أي : لم ينقص (ما في يمينه) ، فالله –عزَّ وجل – مالك كل شيء –سبحانه وتعالى– فقال : ( يَا عِبَادِي! إنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ )

– يعني : أنني وكلت الملائكة الذين يكتبون أعمالكم ، وأحصيها لكم من خيرٍ أو شرٍ ، فيكتبون كل شيء ،كما مرَّ معنا عند قوله – صلَّى الله عليه وسلَّم – : (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاَللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ)[20] ، ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[21]

فقال سبحانه هنا : ( يَا عِبَادِي! إنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ ) :

– وهذا دليل على أن العبد مُخيَّرٌ في عمله ، وأن العمل بإرادته وكسبه ، إنَّما هي أعمالكم الصادرة منكم من خيرٍ أو شرٍ ، ( إنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ

---

[19] رواه البخاري وسلم
[20] رواه البخاري وسلم
[21] سورة ق - الآية 18

أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا ؛ فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدْ اللَّهَ ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَن إِلَّا نَفْسَهُ ) .

– يعني : كما قال الله –عزَّ وجل– : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾[22] ، كما مرَّت معنا آية سورة الكهف ، لمَّا ذكر –سبحانه وتعالى– قوله : ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾[23]

والنَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – يقول : (من نوقش الحساب عُذِّب )[24] ، قالت عائشة – رضي الله عنها – : " يا رسول الله ، أليس الله يقول : ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾[25] ، قال : ( ذلك العرض ، ومن نوقش عذب )

– العرض : بمعنى العرض السريع ، دون نقاش .

– وأمَّا النقاش : فمعناه سؤال ، وطلب الجواب ، ( فمن نوقش عذب ) ، أو كما قال – صلَّى الله عليه وسلَّم – فهذا الحديث ، حديث ( يَا عِبَادِي: إِنِّي حَرَّمْت

---

22) سورة آل عمران ـ الآية 30
23) سورة الكهف ـ الآية 49
24) صحيح البخاري –كتاب الرقائق –
25) سورة الانشقاق ـ الآية 8

الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي ) ، جديرٌ بكل مسلم ومسلمة أن يعتنوا به وأن يعملوا به ، وأن يتأمَّلوه ، فإن فيه خيرًا كثيرا –بإذن الله تعالى– .

## الحديث الخامس والعشرون :

ما رواه أَبو ذَرٍّ –ﷺ– ، أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ –صَّلى الله عليه وسلم– قَالُوا لِلنَّبِيِّ –صلَّى الله عليه وسلَّم– يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأُجُورِ؛ يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ. قَالَ: أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ؟ إنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً، وَأَمْرٌ بِمَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ، وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ، كَانَ لَهُ أَجْرٌ) .[26]

هذا الحديث العظيم فيه فوائد جمَّة ؛ وذلك أن الفقراء من أصحاب النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– سألوا النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– ، وأخبروه بأن الأغنياء مثلهم في الصلاة والصيام ولكن نحن الفقراء نختلف عنهم ؛ إذ للأغنياء أموالٌ يتصدَّقون ونحن لا مال عندنا نتصدق به ، فسوف تكون منزلتهم يوم القيامة أعلى من منزلتنا ولن نحصل الدرجات العلى في الجنة ، هكذا كان الصحابة – رضوان الله

---

[26] ) رَوَاهُ مُسْلِمٌ [رقم:1006].

عليهم – يتنافسون في الخير ، لا يتنافسون في الشر ، ولا يتنافسون في إيذاء عباد الله ، ولا يتنافسون في أن يتمنَّوا زوال النعمة عن إخوانهم .

فإذا رأوا واحدًا قد أنعم الله عليه بالعلم فرحوا له وأعانوه ، وأمَّا الذين يرون أن بعض طلبة العلم قد منَّ الله – عزَّ وجل – عليهم بالحفظ ، والفهم والإدراك ، وحسن الكلام ، وحسن التصنيف ، حسدوه وأخذوا يطعنوا فيه ويتمنوا أن لا يكون في ذاك المقام ؛ لا ، ليس هذا شأن المسلم .

فانظروا كيف أن الصحابة ما حسدوا إخوانهم ؛ ولكن تمنوا أن يكونوا مثلهم ، وأن يكون لهم من الأعمال ما يكونون بسببها في الدرجات العلى ، هكذا ﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾[27] ، فقالوا : ( يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ) ، أي الأغنياء ( بِالْأُجُورِ ) لأنهم يتصدَّقون ونحن لا نتصدَّق

## – فكيــــف نصـــــل إلـــــى مرتبتهم ؟

– فدلَّهم النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – على أعمالٍ يمكن أن يلحقوا بها أولئك الأغنياء ؛ وهي لا تكلِّفهم صدقةً ولا مالًا.

---

[27] ) سورة المطففين - الآية 26 .

من تسبيحٍ وتكبيرٍ وتحميدٍ وتهليلٍ ، أو أمرٍ بالمعروف ونهيٍ عن منكر ، حتى الرجل إذا أتى أهله فإنه ينوي بهذا الجماع أن يعِفَّ نفسه ، وأن يعِفَّ زوجه ، وأن يجتنب الحرام وأن يجتنب الحرام من زنًا ونحوه فيجتنبه .

فقال – صلَّى الله عليه وسلَّم –: ( أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ بِهِ ؟ )

– يعني : أبواب الخير كثيرة جدًا ، ليس فقط في الصدقة في المال .

فمن أبواب الخير : الذكر ، فقال – صلَّى الله عليه وسلَّم –: ( إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً ) ، إذا قلت سبحان الله هذه صدقة ، (وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً ) ، إذا قلت الله أكبر هذه صدقة ، (وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً ) ، إذا قلت الحمد لله صَدَقَةً ، (وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ ) إذا قلت لا إله إلا الله ( صَدَقَةً ) ، قال : ( وَأَمْرٌ بِمَعْرُوفٍ ) .

إذن ؛ التسبيح ، والتكبير ، والتهليل ، والتحميد هذا ذكرٌ قاصرٌ عليك ، وهناك نطقٌ باللسان بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هذا ذكرٌ أو عملٌ متعدٍّ نفعه للغير ، فإذا أمرت بالمعروف صدقة ، كما قال – صلَّى الله عليه وسلَّم –: ( الدَّالَّ عَلَى الْخَيْرِ كَفَاعِلِهِ ).

( وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ ) ؛ إذا نهيت عن منكرٍ ، كان لك أجر من ترك هذا المنكر ، ولك أجر من يتركه بناءً على تعليمك للناس إن هذا أمر منكر فهو باب عظيم ؛ باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ثم قال – صلَّى الله عليه وسلَّم –: ( وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ ) ؛ يعني :

( فِي بُضْعِ ) قال العلماء : أي في الفرج ؛ يعني كناية عن الجماع فإنه يتلذذ بزوجته ، ومع ذلك يؤجر ، فقالوا للنَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم –: يعني ( أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ ) ، فبيَّن لهم النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – ؛ أنه ينوي بذلك عفة نفسه فقَالَ: (أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ وِزْرٌ؟ ) ، الجواب : نعم ؛ فقال النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم : ( فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ، كَانَ لَهُ أَجْرٌ ) ؛

قال العلماء : "إذا نوى واحتسب بهذا الأمر إعفاف نفسه وإعفاف أهله ، والبعد عن الحرام" ؛ ولذلك هنا مسألة وهي: أن الأعمال بالنيات

## – هــــل العـــــادات تنقـــــلب عبـــــادات ؟

### – الجــــواب :

العادات لا تُجعل عبادات ، وإنَّما العادات المُتمِّمة لما أمر الله – عزَّ وجل – ، والمكمِّلة لما شرع الله – عزَّ وجل – ؛ فإنها تأخذ حكمه ، تأخذ حكمه .

فالنكاح سبيل إلى الإعفاف وسبيل إلى الإحصان ؛ فمن تزَّوج بهذه النية يؤجر .

فإذا ؛ – بارك الله فيكم – هذا يدُّل على أن رحمة الله واسعة فكما سبق التهليل ( لا إله إلا الله ) ؛ إذا قلت ( لا إله إلا الله ) كلمة التوحيد ، وإذا قلت (سبحان

الله ) تنزيه وتسبيح لله –عزَّ وجل – الذي يسبِّح له ما في السماوات وما في الأرض ، و ( حمد ) ثناء على الله –عزَّ وجل– وشكرٌ لنعمه المتتالية التي لا نحصيها ؛ ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ [28]

وتكبيرٌ ؛ تعظيم لله –عزَّ وجل– ، فالله أكبر من كل شيء –سبحانه وتعالى– ، والله قادرٌ على كل شيء ، وهذه ( سبحان الله ، والحمد لله ، والله أكبر ، ولا إله إلا الله ) ؛ مرَّت معنا بأنها هي الباقيات الصالحات كما جاء تفسيرها ، وقال النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – ( لأَنْ أَقُولَ : سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ ) ؛ يعني أحب إلي من الدنيا

– لمـــــــــاذا ؟

– لأن هذا أجره عند الله عظيم .

وقد مرَّ معنا في الحديث بالأمس القريب ، لمَّا قال النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم – : ( الْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَان وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلآنِ أَوْ تَمْلأُ مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ) ؛ فيا له من أجر كبير ، وأجر عظيم ، على عملٍ يسير .

**ولكن أنبه إلى أمور :**

---

[28]) سورة إبراهيم - الآية 34

**الأمـــــر الأول :** أنَّ العبد إذا ذكر الله وسبَّحه ، وحمده ، وهلله ، وكبرَّه ، قال : " لا إله إلا الله وهكذا " عليه أن يتدبَّر في معانيها ؛ ليس فقط ( سبحان الله ، الحمد لله ، والله أكبر ، ولا إله إلا الله ) وهو مشتغل بأشياءٍ أخرى ، لا ؛ عليه أن يتدبَّر في معانيها حتى يحصل له – بإذن الله تعالى– خيرٌ بذلك ؛ لأن الذكر كما يقول ابن القيم الجوزية :

**ثلاث مراتب :**

– **المـرتبة الأولـى :** أن يكون ذكر باللسان والقلب ؛ والقلب يعني التفكر .

– **والمـرتبة الثانيـة :** أن يكون ذكر بالقلب وإن لم ينطق اللسان ، بأن يتفكَّر في آلاء الله ، وفي نعمه وفي عظيم رحمته و ، و ، إلى آخره ، ويذكر الله في قلبه ؛ هذا أقل من الأول .

– **ثـم آخـر أنـواع الذكر :** الذكر باللسان دون القلب ؛ فإذن هذا التنبيه الأول

**التنـبيه الثـاني :** نبَّه إليه الإمام الألباني –رحمه الله تعالى– وهو أنَّه قد وردت أحاديث كثيرة من قال : "لا إله إلا الله " مائة مرة ، من قال : "سبحان الله وبحمده" مائة مرة ، من قال كذا ، كذا .

يقول الألباني – رحمه الله تعالى– :

يعني المشروع أن العبد يقول سبحان الله متدبِّرًا ، متفكِّرًا ، مثلاً : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله وبحمده ، وهو يعقلها ، أمَّا (سبحان الله وبحمده ، سبحان الله وبحمده) يقول : " هذا ليس الذكر المطلوب ، هذا ليس الذكر المطلوب ؛ إنَّما المطلوب أن يكون يعني بتفكر وتؤدة وتمهل ( سبحان الله وبحمده ، سبحان الله وبحمده ، سبحان الله وبحمده ) ونحو ذلك " .

ولذلك بعض الناس يقول لك في أقل من دقيقة تقدر تقول ( سبحان الله وبحمده ) مائة مرة يا أخي ما هذا ؟! ، هذا خطأ ، أنت تخالف المقصود من الذكر ؛ فإن المقصود من الذكر التفكر ، وتأثر القلب بذكر الله – عز وجل – ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ ([29]) ، وسيأتينا أيضًا حديث ( لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطِبًا مِن ذِكْرِ اللَّهِ )

فإذا ، – بارك الله فيكم – احذروا من حركات الإخوانجية وحركات جماعة التبليغ والأحباب وحركات هؤلاء الجهال المتعالمون ؛ الذين يعني يتكلمون في دين الله بغير علم .

إذا أردت أن تكسب كذا وكذا في أقل من دقيقتين يمكن أن تقول : ( الله أكبر ) ألف مرة .

---

[29] ) سورة الرعد ـ الآية 28

– ما هذا ! ، هذا ذكر الله أم لعب ؟

ذكر الله يكون بتفكر وتمهل وهذا نبَّه الله عليه الألباني –رحمه الله تعالى – .

الأمــر الثالث : الذي أنبه عليه : هناك أذكار ، هناك أذكار جاءت محصية ؛ بمعنى لها عددًا مُعيَّن ؛ ثلاث وثلاثين مرة ، مائة مرة ، فعلى العبد أن يتقيد بها ، إلا ما ورد مطلقًا من قول ( سبحان الله ، والحمد لله ، والله أكبر ، ولا إله إلا الله ) .

وأيضًا ( سبحان الله وبحمده ) ؛ فإن النبي –صلَّى الله عليه وسلَّم – قال : ( إِلَّا رَجُلًا ) ؛ يعني يقول : ( مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ ) ، وقال : ( ولَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا رَجُلًا قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أَوْ زَادَ عَلَيْهِ ) ، طيب .

التـنبيه الــرابع : وهنا أريد من الجميع أن يتنبه له ، إياك يا عبد الله ، إياك يا عبد الله أن تحدّ عددًا معينًا في الذكر ، مثلًا ألف مرة ، مائة وخمسين مرة ، إلا أن ورد الدليل بتعيين عدد ، أمَّا ما لم يرد فيه دليل بتعيين عدد فاذكر الله – عزَّ وجل – بلا تقييد عدد ؛ لأنك إذ قيَّدت عدد أشبهت الأمر المشروع ودخلت في البدع والمحدثات ، فبعض الناس يقول : قل الله أكبر ألف مرة .

– يـــا أخي من أيــــن ألف مرة ؟

– أنت أحســـن من الرســـــول ؟

## – أنت مشرع ؟! أنت أحســـــن من الصـــحابة ؟

– هذا دين الله – عز وجل – ، الرسول قال : ( قُولُوا اللهُ أَكْبَرَ مَا اسْتَطَعْتُم ) ؛ ولم يحدد عدد ، فاحذروا ممن يحدِّد عدد ، انتبهوا لهذا ، فإن هذا من عمل الصوفية ، وعمل جماعة التبليغ والأحباب ونحو ذلك ، المشروع مشروع ، وما لم يشرع ليس لأحد أن يشرعه .

لذلك قال الشافعي – رحمه الله تعالى – : " من استحسن شيئا فقد شرّع " ، إذًا ؛ علينا أن نتنبه لهذا الأمر – بارك الله فيكم – .

آخـــر تنبيه يتعلق بهـــذا : السبحة ، بعض العلماء جوَّزها ؛ ولكن يظهر من كلام بعض أهل العلم الآخرين أن الأرجح عدم جوازها.

– لمـــــــــاذا ؟

– لأمـــــــــور :

**الأمر الأول :** لم يُنقل عن النَّبي – صلَّى الله عليه وسلمَّ – ولا عن الصحابة .

**الأمر الثاني :** وهو المهم أن أصابعك ناطقات مستنطقات يوم القيامة ، كما أخبر النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – ، وكان النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – يعقد التسبيح بأصابعه ، فكان يسبّح بأصابعه ، فأنت عليك أن تقتدي بسنة النَّبي– صلَّى الله عليه وسلَّم– ، –بارك الله فيكم – .

وأيضًا يعني قال العلماء : " إن من فوائد الذكر بالإصبع ، غير كونه شواهد ومستنطقات يوم القيامة ؛ أن العبد يكون قلبه حاضرًا "  بينما بالسبحة يحركها ، يحركها ، يحركها ، يحركها ، وذهب في المشرق والمغرب ، وهو غير مفكر فيما قال

– بارك الله فيكم – هذه بعض الفوائد المتعلقة بالأذكار التي يجب علينا أن نتأملها .

الحديث السادس والعشرون :

وهو ما رواه أَبِي هُرَيْرَةَ –ﷺ– قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلَّى الله عليه وسلَّم– : ( كُلُّ سُلَامَى مِنْ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ تَعْدِلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَبِكُلِّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَتُمِيطُ الْأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ ) . [30]

قوله –صلَّى الله عليه وسلَّم : ( كُلُّ سُلَامَى )

– السلامى قال العلماء : أي المفاصل .

[30] ) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم:2989]، وَمُسْلِمٌ [رقم:1009].

- السلامى : معناها المفاصل ، وجاء في الصحيح أن عدد هذه المفاصل : ثلث مائة وستون مفصلًا ، ثلاث مائة وستون مفصلًا ؛ فإذن ؛ على كل واحد منا أن يتصدق بثلاث مائة وستين صدقة .

قال الشيخ العثيمين : " يدل هذا الحديث وجوب الصدقة على كل إنسان كل يوم تطلع فيه الشمس ، عن كل عضو من أعضائه " ، أي عن كل مفصل من مفاصله

قال : " لأن قوله ( عَلَيْهِ صَدَقَةٌ ) ؛ يعني الوجوب " .

قال : " ووجه ذلك أن كل إنسان يصبح سليمًا يجب عليه أن يشكر الله - عز وجل - ؛ سليمًا في كفه ، في ذراعه ، في عضده ، في ساقه ، في فخذه ، في كل عضو من أعضائه عليه نعمة من الله فليشكرها "

قال : " فإن قيل قد يكون في إحصاء ذلك صعوبة ، فالجواب : أنه صحَّ عن النَّبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- (أنه يجزئ من ذلك) أي بدلًا عن هذه الأعمال ( ركعتا الضحى ) " انتهى كلامه .

هذا الحديث - بارك الله فيكم - يذَّكر فيه النَّبي - صلَّى الله عليه وسلَّم- نعمة من نعم الله على بني آدم ؛ وهي المفاصل ، ويجب علينا أن نشكر هذه النعمة ، وأبواب الصدقة كثيرة ، ذكر النَّبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- هنا بعضها ،فذكر من الصدقات :

- العدل بين اثنين : يعني أن تحكم بين اثنين وتعدل بينهما ، وتفصل بينهما ويكون الحكم بالحق والعدل ، ويكون الحكم بالحق والعدل ، وأن يكون صلحًا لا ظلم فيه ؛ ولذلك من قام بهذا قام بأمرٍ له فيه صدقة ، وتأمل قول النبيَّ -صلّى الله عليه

وسلَّم – : ( تَعْدِلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ صَدَقَةٌ ) ؛ لا تأتِ تظلم أحدهما ؛ لأن أحدهما يعني من جماعتك ، أو من قومك ، أو من حزبك ، أو مِمَن يقول بقولك فتنصره على الآخر ؛ فإن هذا ظلم ، بل تعدل بين اثنين ، فإن ظلمته ؛ لم تأتِ بالصدقة .

قال : ( وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ )
– يعني : تعين الرجل على أن يركب على دابته ، أو تعينه وقد ركب على دابته أن ترفع له متاعه ؛ هذه صدقة .
( وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ ) من أمرٍ بالمعروف ، أو نصحٍ لآخر ، أو نهي عن منكر ، أو كلمة تقولها لأخيك المكروب فتفرج ما به من هم .
( وَبِكُلِّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ ) ؛ جاء في الحديث أن من ذهب إلى الصلاة ماشيًا بأقدامه إذا رفع قدمه كُتبت له حسنة ، ، وإذا وضع قدمه الأخرى حُطت عنه سيئة .
ولذلك جاء عن بعض الصحابة أنه أراد يقترب في منزله من مسجد رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – وهم من بني سلِمة ، فقال لهم النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم – : ( دِيَارُكُم ، دِيَارُكُم – يعني ابقوا في منازلكم هناك بعيد– تُكْتَبُ آثَارُكُم ) ؛ يعني خطواتكم إلى الصلاة ، فهذا يدلُّ على أن المسلم الأفضل أن يذهب إلى الصلاة ماشيًا لا يركب السيارة ، بل يمشي إلى المسجد ، إلا إن كان بعيدا جدا ويشق عليه فهذا له عذره .

قال : ( وَتُمِيطُ الْأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ ) ؛ فتميط الأذى تبعده ، صدقة ؛ لأنك نحيت هذا الأذى عن طريق إخوانك المسلمين فتحصل لك الصدقة بتجنيب الأذى .

وتأمَّلوا كيف هنا أن النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – يقول : ( تُمِيطُ الْأَذَى )

– فكيف بمن يرمي الأذى في طريق إخوانه ؟

– وكيف بمن يؤذي إخوانه بأفعاله وأقواله ؟

– وكيف بمن يتعمَّد الإساءة إلى إخوانه ؟

فلا شك أنه يكتسب سيئات بهذا وأنه ما شكر نعمة الله – عز وجل – ولا امتثل هذا الحديث .

جاء في حديث آخر أو في رواية أخرى لهذا الحديث في صحيح مسلم أن النبي – ﷺ – قال : ( وَيُجْزِئ عَن ذَلِكَ كُلِّهِ رَكْعَتا الضُحَى ) ؛ فإذا صلَّى الضحى أجزأ عن الثلاث مئة وستين مفصل ؛ وكل مفصل له صدقة .

إذن ثلاث مئة وستين صدقة ، ولاحظ أنَّ النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم – يقول : (كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ ) ؛ يعني ليس تشكر الله في يوم واحد فقط ، لا ؛ كل يوم تطلع فيه الشمس عليك ثلاث مئة وستين صدقة لهذه المفاصل التي أنعم الله – عزَّ وجل – بها عليك يا عبد الله .

وهذا الحديث كما يقول أهل العلم فيه بيان أن يعني أبواب الخير كثيرة وأن العدل بين الإخوان أمر مطلوب .

فقولوا لي بربكم ما حال أولئك الذين يسعون إلى التفريق بين السلفيين وينشرون الوشايا والأكاذيب والإشاعات ، ويفترون على عباد الله بكلام مكذوب وببهتان يفترونه على إخوانهم إسقاطًا لهم وطعنًا فيهم وذمًا لهم وحسدًا لما منحهم الله –عزَّ وجل– من علمٍ وقبولٍ في الأرض ؛ فلا شك أن هؤلاء لم يشكروا نعمة الله – عزَّ وجل – ،وأن هؤلاء عليهم أن يتأمَّلوا هذه الأحاديث ؛ هذا الحديث الذي نقرأه وتلك الأحاديث التي مرَّت معنا : ( مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاَللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ ).

فتأملوا – بارك الله فيكم – وقارنوا بين حال هؤلاء وما جاء به النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – من خير وهدى للناس .

الحديث السابع والعشرون

ما رواه النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ –رضي الله عنهما – عَنْ النَّبِيِّ – ﷺ – أنه قَالَ : ( الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِك ، وَكَرِهْت أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ ) [31]

وَعَنْ وَابِصَةَ بْنِ مَعْبَدٍ –رضي الله عنه– قال : أَتَيْت رَسُولَ اللَّهِ – ﷺ – قَالَ : "جِئْتَ تَسْأَلُ عَنْ الْبِرِّ والْإِثْمِ ؟ قُلْت : نَعَمْ . فقَالَ : استفت قلبك ، الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَّتْ إلَيْهِ النَّفسُ ، وَاطْمَأَنَّ إلَيْهِ الْقَلْبُ ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ، وَإِنْ أَفْتَاك النَّاسُ وَأَفْتَوْك ) . [32]

---

[31] ) رَوَاهُ مُسْلِمٌ [رقم:2553].

[32] ) حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَيْنَاهُ في مُسْنَدَي الْإِمَامَيْنِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ [رقم:227/4]، وَالدَّارِمِيّ [246/2] بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ

قال الشيخ – رحمه الله تعالى – حديث حسن رويناه في مسنديه الإمام أحمد والدارمي بإسناد حسن .

هذا الحديث يخبر فيه النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – عن البرِّ ، عن الخير ، وأن من أعظم خصال الخير حسن الخلق ، وقد مرَّ معنا قول النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم – : ( وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ ) [33]

فالنَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – يقول إن أردت أن تكون برًا تقيًا ، إن أردت أن تحصل على الدرجات العلا درجة الأبرار فحسن خلقك مع الله ، مع كتابه ، مع نبيه ، مع صحابته ، مع الحكام ، مع العلماء ، مع إخوانك ، مع نفسك ، حسن خلقك مع كل الناس وخالق الناس بخلق حسن ؛ فالبر حسن الخلق ، فليست التقوى أنك تصلي وتصوم وتبتعد عن المحرمات وتفعل الواجبات وتكون بخلقٍ سيء .

وقد مرّ معنا قصة تلك المرأة التي تصوم تطوعًا وفرضها وتقوم تطوعًا وفرضها ؛ لكن تؤذي جيرانها ؛ فقال النَّبي : ( هِي فِي النَّار ) ، وامرأة أخرى تصوم فرضها وتصلّي فرضها ولا تتطوع ؛ ولكن لا تؤذي جيرانها خلقها حسن ؛ قال : ( هِيَ فِي الجَنَّة ).

ولذلك بعض الناس يعني يؤذي الناس بلسانه وأفعاله ويغتر بصلاته وصيامه وفعله لبعض المسنونات والنوافل ويظن نفسه أنه على خير ؛ لا يا عبد الله لا يخدعك الشيطان ؛ فإن حسن الخلق هو البر من أعظم خصال البر ، فكما صليت فرضًا

---

[33] ) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ [رقم:1987]

وتطوعًا ، وكما صمت فرضًا وتطوعًا ، وكما فعلت الخير فاعلم أن من أفضل ، خصال الخير ؛ حسن الخلق .

ثم قال – صلَّى الله عليه وسلَّم – : ( وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ )

– ومعنى ( حَاكَ ) : أي أنك تحرَّشت منه وتضايقت منه وحصل منه تردد ؛ يعني جاءك أمر تقوله أو تفعله نفسك تضايقت وترددت في فعله ، وأيضًا وكرهت أن يطلع عليه الناس ؛ يعني أن الإثم له علامتان :

– **العــلامة الأولى :** أن نفسك تتضايق منه .

– **والعــلامة الثــانية :** أنك تكره أن يطلع عليه الناس .

**– لمـــــــــاذا ؟**

– لأن الناس لو رأوك على الإثم تكلموا فيك ، ولذلك كما مر معنا ( فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقْد اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ) ؛ عرضه من جهة الناس وكلامهم ؛ فإذا هاتان علامتان للإثم قال العلماء : " بعض الناس في الأمر المشروع الذي جاء الشرع مثلا بطلب فعله قد يتردد ويحاك في نفسه " .

**– فهـــل هذا معنـــــاه أنه – يعنـــي – غير مشروع ؟**

– الجواب :

هذا خطأ ؛ لأن المراد هنا الإثم ما كان مخالفا للشرع وفي الأمور التي لا دليل عليها .

وأيضًا قالوا : " المراد هنا ( مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ ) ؛ في نفس المؤمن المطمئنة ، أما الإنسان الفاجر ، الإنسان الفاسق فإنه لا اعتبار لنفسه ؛ لأنه لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا " .

ثم قالوا : وَعَنْ وَابِصَةَ بْنِ مَعْبَدٍ -رضي الله عنه- قال : أَتَيْت رَسُولَ اللَّه - ﷺ - قَالَ : (جِئْتَ تَسْأَلُ عَنْ الْبِرِّ والْإِثْمِ) .

وابصة بن معبد -رضي الله عنه- جاء إلى النَّبي -صلَّى الله عليه وسلَّم - وكان في نفسه كما في بعض الروايات يقول : ( فأردت أن أسأل النبي -ﷺ- عن كل شيء في البر والإثم ) .

فلمَّا أتى إلى النَّبي -صلَّى الله عليه و سلَّم- و دنى منه فقال له النَّبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- :

( أُدْنُ ، قال : فدنوت حتى لمست ركبتي ركبته -عليه الصلاة و السلام- ، فقال النَّبي -صلَّى الله عليه و سلَّم- : ( تسأل أو أخبرك ؟ ) ، -قال : هل تريد أن تسأل أنت ، أو أنا أخبرك بماذا تريد أن تسأل ؟ ، فقال : بل أخبرني يا رسول الله ؛ فقال -صلَّى الله عليه وسلَّم- : (جِئْتَ تَسْأَلُ عَنْ الْبِرِّ والْإِثْمِ) .

**-مــن الـــذي أطـــلع الرســـول علـــى هــــذا ؟**

الله ؛ أوحى إليه بأن وابصة يسأل عن هذا ؛ الرسول لا يعلم الغيب إلا عن طريق الوحي –عليه الصلاة و السلام– فإنه لا يعلم الغيب كما أخبر هو عن نفسه – عليه الصلاة والسلام– ولا يعلم الغيب إلا الله – عز وجل – ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ۚ ﴿٦٥﴾ [34] ؛ فالغيب من خصائص الله –عزَّ وجل– ، فالنَّبي –صلَّى الله عليه و سلَّم– قال لوابصة : ( جئت تسأل ، أخبرك أو تسأل ؟ قال بل أخبرني يا رسول الله ، فقال : جئت تسأل عن البر و الإثم ) ؛ فإذا هذا دليل على صدق نبوته –صلَّى الله عليه و سلَّم– ، فقال :

(جِئْتَ تَسْأَلُ عَنْ الْبِرِّ والْإِثْمِ)

- يعنـــي مـــا هـــو البر ؟

- ومـــا هـــو الإثم ؟

فقال وابصة : ( نعم ) ، قال –صلَّى الله عليه وسلَّم– : ( اسْتَفْتِ قَلْبَكَ ) ؛ يعني : اسأل ، قوله : ( اسْتَفْتِ ) ؛ بمعنى : اِسأل قلبك .

طبعًا هذا كما سبق و ذكر العلماء أن المُراد به قلب المؤمن المطمئن بذكر الله ، وبطاعة الله ، وبتقوى الله ، والنفس والقلب المنير بطاعة الله –عزَّ وجل – ، وبهدى الله –عزَّ وجل – .

قال : ( اسْتَفْتِ قَلْبَكَ ) ؛ يعني : اِسأل قلبك .

[34] ) سورة النمل - الآية 65

( الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ ، وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ، وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ )

– يعني : المراد بهذا الحديث ليس في الأحكام الشرعية المأمور بها أو النوافل ؛ فإن هذا مشروع ، وليس في الأحكام الشرعية المُحرَّمة ؛ فإن هذا ممنوع ؛ ولكن في الأمور التي هي من باب الشبهات ، والأمور التي لا دليل عليها ، وسألت العلماء فاستفت قلبك ، فإن كان قلبك لم يتردد واطمأن ، وقلبك مطمئن وأنت صاحب تقوى وإيمان وعلى علم وهدى ؛ فإن هذا دليل على أنه من البر ، وإن حصل في قلبك تردد وحصل في قلبك عدم اطمئنان ؛ فهذا دليل على أنه ليس بخير ؛ قال : ( وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ ) ؛ يعني وإن وجدت من يقول لك : "هو جائز " فاتركه ؛ مثل العلماء بمسألة واضحة في هذا الباب ، قالوا : " أحيانا في مسألة ، خاصة في مسائل المعاملات التي يشتبه في أن تكون ربوية أو فيها ربا أو أنها مسألة مُحرَّمة ، لكن لا دليل عليها إلا اجتهادات العلماء ، فأحيانا تسأل أو تجد البنك الفلاني يقول لك : عندنا فتوى من لجنة تفتي بجواز هذا ، فأنت مع هذا لا تطمئن ، اللجنة أفتت بالجواز وأنت لا تطمئن ، فهذا معنى : ( وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ ) ، فاعلم أن عدم اطمئنانك يدل على أنك تبتعد على هذا الأمر ، وأن لا تعمل إليه ، وأن لا تركن به "

طيب ؛ بعض الناس يقول : لا ، أنا صح نفسي متضايقة ولكن العلماء أفتوا ، بعضهم أفتى بهذا ، عندهم لجنة فهم يتحملونها .

فنقول : لا ، إن ضاق صدرك و ترددت نفسك ولم تقبله فهذا دليل على أنه إثم ، فأنت مؤاخذ ومحاسب على هذا ، هم أولئك الذين أفتوا ، قد يكونون معذورين ؛ لأنهم اجتهدوا فأخطئوا ؛ لكن أنت حاك في نفسك ، وترددت ومع ذلك تتلاعب وتقول : لا أنا أعمل بهذا وهم يتحملون إثم ذلك .

فالنَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– يقول : ( وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ، وَإِنْ أَفْتَاك النَّاسُ وَأَفْتَوْك )

## – هل ما حاك في النفس هو نفس معنى تردد الصدر ؟

– أحيانا يظهر لي أن بينهما اِختلاف ، فأحيانا القلب ما يتردد ، أو ما يضطرب ؛ لكن النفس تثقل ، وأحيانا القلب يتردد ويضطرب والنفس أيضا تتردد.

فالنَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– قال : ( مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ ) ؛

فإذا اجتمع أن الأمر هذا حصل فيه هذه الأمور ؛ فيعلم أنه من باب الإثم ؛ وهذا الحديث من جوامع الكلم منه – عليه الصلاة و السلام – .

كنت أريد أن أدخل في ( الحديث الثامن والعشرين ) ؛ ولكن أكتفي بهذا القدر .

وصلى الله وسلم على نبينا مُحَمَّد و على آله وصحبه أجمعين .

وأود أن أنبه أنه في هذا الأسبوع توجد سلسلة من المحاضرات لمجموعة من المشايخ – جزاهم الله خيرا – تنقل عبر إذاعة النهج الواضح بالكويت ؛ وهذه المحاضرات بدأت بالأمس وكانت المحاضرة الأولى لفضيلة الشيخ ' خالد عبد الرحمان المصري' وكانت بعنوان ( شروط لا إله إلا الله ) ، واليوم المحاضرة كانت لفضيلة الشيخ 'علي سالم' وكانت بعنوان ( منزلة الصحابة عند أهل السنة )

وغدا – بإذن الله – محاضرة بعنوان : ( ذم التعصب الذميم ) للشيخ الدكتور : فواز العوضي –حفظه الله تعالى– ، ويوم الثلاثاء محاضرة بعنوان : ( خطر التعالم والمتعالمين ) لمحدثكم ، ويوم الأربعاء محاضرة بعنوان : ( ضرر الإعلام الكاذب على الدعوة ) للشيخ الفاضل : عادل منصور الباشا –حفظه الله تعالى– ، ويوم الخميس محاضرة بعنوان : ( شرف الإتباع ) للشيخ الفاضل : أحمد بن حسين السبيعي – حفظه الله تعالى–

وهذه محاضرات تبث عن طريق النهج الواضح ، وهؤلاء المشايخ – حفظهم الله تعالى– الشيخ خالد عبد الرحمان المصري ، والشيخ أحمد السبيعي ، والشيخ فواز العوضي ، والشيخ عادل منصور ، والشيخ علي السالم – جزاهم الله خيرا – ؛ من المشايخ السلفيين المعروفين الناصحين أحث إخواني على سماع محاضراتهم – حفظهم الله تعالى– .

- طيب؛ هذا سؤال يقول :

**- أنت أجزتنا في التجويد وفي غيره ، فهل الإجازة هذه تعني أن المجاز صالح للتدريس ؟**

- الجواب :

لا ، الإجازة لا تعني أن المجاز صالح للتدريس ؛ ولكن هي من باب اتصال السند والمعتبر في الصلاح للتدريس ؛ أن يكون من يتصدر للتدريس أهل للتدريس ، وتلقى العلم الصحيح ، ويسير على منهج السلف الصالح ؛ فمثل هذا الذي يؤخذ عنه العلم والذي يصلح للتدريس .

فإذا ؛ الإجازة يستأنس بها ، فإن كان المجاز صالحًا للتدريس درس ، وإن كان غير صالح للتدريس لا يدرس ، ولذلك لا تعني الإجازة أولًا : لا تعني التزكية ؛ إلا إن كتب الشيخ المجيز أجزت الشيخ الفلاني كذا وكذا وكذا .

أما الإجازة العامة التي يجاز فيها الطلاب الذين حضروا : لا تعني التزكية ، ولا تعني أيضًا أنه صالح للتدريس .

والحقيقة يعني الكثير من الشباب السلفي يخطئ في التزكيات ، والشيء بالشيء يُذكر ، فمثلا بعضهم يقول :

- **فلان كيف يدرس؟!**

- يقول عنده إجازة

- **هل يلزم من الإجازة التزكية ؟**

الجواب :

لا ، طيب ، بعضهم مثلا يقول : الشيخ الفلاني مثلًا ذكر فلانًا وقال من إخواننا السلفيين .

- **هل يلزم من كلمة "من إخواننا السلفيين" أنه عالم ؟**

- لا ، هذا أنه مع السلفيين ؛ لكن لا يلزم منها أنها تزكية .

أيضًا من الأمور المهمة التي أنبه عليها وهي خطيرة جدا أن باب التزكية ، باب الجرح وباب التعديل له أهله ؛ فمن الأخطاء التي نراها أن كل إنسان أو بعض الناس يُزكون أو يُجرِّحون وهم غير أهل للتزكية أو التجريح .

ولذلك الشيخ مُحَّد بن هادي – الله يحفظه – مرة من المرات قيل له فلان جرح فلان قال : " فلان قولوا له يسكت ؛ ليس من أهل التجريح وليس من أهل التعديل " ؛ فهذا مثال .

فلذلك – بارك الله فيكم – علينا أن نتنبّه ، أو فلان زكاه فلان ، طيب ؛ هذا الفلان المُزكِّي ليس أهلا للتزكية ؛ لأنه –يعني– التزكية والتجريح تحتاج إلى شروط

وإلى صفات لا بد أن تتوفر في الشخص حينها يقبل التعديل ، ويقبل التجريح بدليله كما يذكر العلماء .

فإذًا ؛ من الخطأ الذي نسمعه أن بعضهم ينقل تزكيات من لا يعتبر قوله في الجرح والتعديل .

الذهبي – رحمه الله تعالى – ألَّف كتابا في بيان من يُعتبر قوله في الجرح والتعديل ومن لا يُعتبر ، والعلماء تكلموا في هذا ؛ فبعضهم يأتي ويزكي ويجرح وهو ليس أهلًا لذلك ، وأحيانًا تكون هناك أمور موانع من قبول الجرح والتعديل ؛ كالهوى ، أو الحسد ، أو أو إلخ مما يذكره العلماء .

ولذلك قالوا : " لا يقبل الجرح والتعديل من كل أحد " ؛ فلا تغتروا بمن يزكي فلان وفلان ويجرح فلان وفلان حتى تثبت قدمه في هذا الباب .

أيضًا يعني بعضهم يقول من التزكية : أن فلان القائم على الدورة شيخ .

لا ، هذا منسق إداري ،كونه ينسق للمشايخ لا يجعله شيخًا ، إلا إن كان مع تنسيقه للدورة على علمٍ ، وعلى أخذ للعلم من أهله ، فبعضهم قد يُشيِّخ من ليس بشيخ ممن يقوم على الدورات ؛ وهذا خطأ يا إخواني – بارك الله فيكم – .

هذه مزالق في باب التزكيات وباب التعديل ، يعني ذكرتها باعتبار ما جاء في السؤال من كون هل الإجازة تعتبر تزكية ، فتنبهوا – بارك الله فيكم –.

وصلى الله وسلم على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين .